Journal of Al-Farahidi's Arts, No: 62: 1-16
Doi: https://doi.org/10.25130/jfa.17.62.1

Tikrit University | جامعة تكريت
مجلة آداب الفراهيدي
Journal of Al-Farahidi's Arts

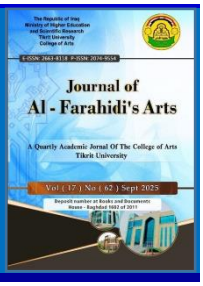

Narrative manifestations in Hijazi travel literature: Al-Qalsady's journey as a model

التجليات السردية في أدب الرحلات الأندلسية (رحلة القلصادي انموذجا)

Ibtihal Abdul Karim Faisal
Department of Arabic Language -College of Education for Girls -Tikrit University
Salahuddin - Iraq
E-Mail: ebtihal.faisal@tu.edu.iq

ابتهال عبد الكريم فيصل
قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات – جامعة تكريت
صلاح الدين - العراق
Mobile: +964 7726660460

SUBMISSION التقديم	Received in Revised Form استلام النسخة النهائية	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الالكتروني
2/10/2024	15/11/2024	26/11/2024	30/9/2025

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-8118 NO (62) September (2025) P (1-16)

A B S T R A C T

Travel literature is considered a distinctive literary genre that sets itself apart from other artistic forms. It serves as an expressive space where the narrator conveys their experiences, feelings, and perspectives to the reader, evoking emotions and imagination that enhance the journey's value. Additionally, it is an artistic linguistic text that embodies historical and geographical language, providing a cultural and political image through the news and facts it presents.

The discourse of travel writing carries numerous aesthetic secrets regarding narrative, language, and style, making it an open text for reading and exploration due to its varied meanings and hidden mysteries. It combines eloquent expression, authenticity in narration, and the eloquence of description and imagery, showcasing the skill of the writer in crafting the narrative.

Travelers excelled in recounting the events they experienced, detailing the stops and paths they took, whether for a stay or transit, while describing the characters and landmarks encountered throughout their journey. Thus, their discourse becomes a mirror reflecting multiple issues and dimensions, employing techniques such as description and narration, which contribute to the text's eloquence, beauty, and impact on the audience.

Keywords

Journey, Manifestations, Narrative, Characters, Place, Time

الملخص

يعتبر أدب الرحلة من الأنواع الأدبية التي تجعل منه طابعاً خاصاً منفرداً يميزه عن باقي الفنون الأدبية ،وهي فضاء تعبيري يلجأ اليه السارد لنقل تجربته وإحساسه، ووجهة نظره إلى القارئ محركاً مشاعره وخياله لتمنح الرحلة قيمتها ،بالإضافة إلى انه نص لغوي فني ولغة تاريخية وجغرافية وصورة ثقافية وسياسية لما تحمله من أخبار وماتورده من حقائق ،لأن خطاب الرحلة يحمل العديد من الأسرار الجمالية على مستوى السرد واللغة والأسلوب ،وهو مايجعله نصاً مفتوحا على القراءة والاستكشاف وذلك لتنوع الدلالات ومايخفيه من اسرار ، إذ اجتمع فيه حسن الصياغة في التعبير ، والصدق في النقل وبلاغة الوصف والتصوير وبراعة النظم والتحرير ،وقد أبدع الرحالة في سرد الاحداث التي تعرض لها وذكر المحطات والمسالك التي حط بها إما مقاماً أو عبوراً ووصف الشخصيات والمعالم التي عاشها طول مسار الرحلة ،فجاء خطابه مرآة تعكس قضايا وابعاداً متعددة ، ووظف أساليب منها الوصف والسرد مما أسهم في بلاغة النص وجماليته وتأثيره في المتلقي.

الكلمات المفتاحية

الرحلة،التجليات ، السردية، الشخصيات ، المكان، الزمان

THIS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CCBY LICENSE http:// creativecommons.org/licenses/by/4.0

المقدمة:

الرحلة

يُعَدُّ النّص الرحلي من أهم منابع المعرفة والفنون في التراث العربي على مر العصور وأهميتها تكمن في قيمتها العلمية والفنية، ويتمثل ذلك بتزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب بمعلومات قيمة حتى وصف المدن والطرق والعمران والبلدان والكشف عن ثقافات الشعوب، وتكسب الرحالة أنفسهم الكثير من المعلومات والتجارب في مختلف الميادين، فالرحلة بمثابة نقل صور ومقاطع عن بلدان أخرى ووصف البلاد وما فيها من طبيعة أو شخصيات أو ثقافة(الياقوت ،عبدالله عثمان،2001،706) فتزود القراء بمعلومات وصور ممتعة واخبار تلك البلدان وتستعرض الأحداث بصورة أدبية وتتفق مع النفس البشرية مشكلاً رافداً من روافد المتعة الأدبية، لأن خطاب الرحلة يحمل العديد من الأسرار الجمالية على مستوى السرد واللغة والأسلوب وهو نص مفتوح على القراءة والاستكشاف لما فيه من الاسرار والمتعة ، والرحلة مشتقة من الارتحال وهي تعني انتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين، مادياً كان ذلك الهدف أم معنوياً أو استكشافياً ، وهي متصلة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، ، ومن ذلك التاريخ القديم لم تتوقف رحلات البشر، فتمثلت قيمة الرحلة في الجانب التاريخي والجغرافي والأدبي والوثائقي، وهذا ما يجعل الرحلة جيدة، فالرؤية الصادقة والملاحظة الدقيقة والالتقاء بالعلماء والشيوخ والمضي معهم له أثر الكبير في توثيق أدب الرحلة ، ولعل ما يميز الرحلة تنوع الأسلوب من السرد القصصي والمغامرات ووصف العواطف التي تظهر عند البشر (الشوابكة، نوال عبد الرحمن ،2006،53) والرحلة ضرب من ضروب النشاط البشري تتميز بأنَّ جذورها تمتد إلى بدايات الجنس البشري، فقد وصل البشر من مكان إلى آخر جرياً وراء المراعي وهجرة في سبيل الرزق، وهي أيضاً سلوك إنساني حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد والمجتمع، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها وليس الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها (صوكو،نسرين ،رمسية ،شنتور،11-12، 2021) والرحلة لها أنواع مختلفة باختلاف أسباب مواقع ودوافع الرحالة،

وتقسم الرحلة إلى قسمين فقط منها رحلات حقيقة ورحلات خيالية، الرحلة الحقيقية هي الرحلات الواقعية التي خرج فيها أصحابها من بلادهم باحثين عن مكان آخر الذي يمكن للإنسان أن يعيش فيه دون مخاطر وشرور، وإن تعدد هذا النوع من الرحلات يكون بتعدد أغراضها ودوافعها، كالدافع العلمي التعليمي، والدافع السياحي والثقافي، والدافع الديني .

وكما ذكرنا أن الرحلة تختلف باختلاف دوافعها وأغراضها، وأن الدوافع التي حملت القلصادي إلى رحلته كانت منها دينية ومنها علمية، ومن الملاحظ أن القلصادي في رحلته جمع بين

الغرضين، حيث أراد زيارة الأماكن المقدسة وفي نفس الوقت التعرف على علوم البلدان الأخرى(ينظر: صوكو،نسرين،رمسية ،شنتور،11-12، 2021)

التساؤلات :ماهي أهم تجليات البنية السردية في أدب الرحلات

وماهي أبعاد الشخصية والزمن والمكان والتي كانت أكثر بروز في أدب الرحلة عند القلصادي

الرحلة لغة

الرِّحْلَة: اسْمٌ لِلِارْتِحَالِ للمَسير. يُقَالُ: دَنَتْ رِحْلَتُنا. ورَحَلَ فُلَانٌ وارْتَحَلَ وتَرَحَّلَ بِمَعْنًى. وَفِي الْحَدِيثِ: فِي نَجَابة وَلَا رُحْلة، الرُّحْلَة، بِالضَّمِّ: القُوَّة والجَوْدة أَيضاً، وَيُرْوَى بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى الِارْتِحَالِ، قَالَ الأَزهري: فَقَدْ صَحَّ أَن الرَّحْل والرِّحَالَة مِنْ مَرَاكِبِ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ. والرَّحْل فِي غَيْرِ هَذَا: مَنْزِلُ الرَّجُلِ وَمَسْكَنُهُ وبَيْتُهُ، وَيُقَالُ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّجُل رَحْله أَي مَنْزِلَهُ)(ابن منظور،محمد بن مكرم، 2016،ط3)

الرحلة اصطلاحاً:

اسم والجمع: رِحْلات وَرَحلات ورِحلُ الرحلةُ: الارتحال انتقال إلى مكان آخر، الرِحلةُ: ما يرتحل اليه، الرَحَلَ: فعل، رحلَ: رحل عن الرحيل، رَحَلَ عن بلدة: تركهُ) (ابن منظور،محمد بن مكرم، ط3، 2016)

ان نص الرحلة "هو نص فيه من الفن القصصي مايمكن معه أن يمثل جذور القصة الأدبية ،حيث اعتمد على عناصر أساسية هي: السرد، الحوار ،الوصف، التشويق والاشتمال على هدف وغاية وهو يمثل شكلاً أكثر اتساعاً بما سمح لمساحة من المستويات اللغوية ان تظهر شعراً كانت ام نثرا لتنقل المهم والجديد والممتع والنافع "(زيتوني ،لطيف،1996)

ويعرفها عبد الله حمادي "ان الرحلة سواء كانت برية أو بحرية او انجاز فردي او جماعي تعتبر محاولة لاختراق حاجز المسافات وإسقاط الفاصل الجغرافي بين المكان والزمان " وقد تكون دوافع الرحلة حاجة ذاتية إشباع حاجة النفس في حب الاطلاع وكشف استار المجهول ،والرحلة الاندلسية تعددت أغراضها وتنوعت تماشياً مع العصور وتطورها(ينظر: الحمادي، عبدالله ، دار البعث، قسطنطينة ، ص108)

السرد: نقل جزئيات الواقع بواسطة ألفاظ التعبير عنها يكون بثلاث طرق للسرد:

الأول:- طريقة المباشرة التي يكون فيها الكاتب مؤرخاً يرد من الخارج.

ثانياً:- طريقة السرد الذاتي التي يكتب فيها الكاتب على لسان المتكلم متلبساً لشخص أحد الأبطال.

ثالثاً:- طريقة الوثائق التي تحققها القصة عن طريق الرسائل والحكايات)(زيتوني ،لطيف،1996 ، ص257)والمقصود بالسرد هو شكل المضمون أو شكل الحكاية، وهو أيضاً

عرض لحدث من الأحداث حقيقية أو خيالية، وكل سرد يشمل حدثاً وشخصيات تنشط ضمن زمان ومكان معينين بواسطة سارد ينقل إلى السامع أو القارئ

نلاحظ أن السرد عنصر فعَّال ومؤثر في نقل الأحداث وأفكار الكاتب كما يتبين لنا في طريقة السرد لدى القلصادي، حيث اختار الأسلوب والفقرات لنقل أحداث رحلته بأدق التفاصيل(ينظر:فؤاد قنديل ،15–16 ،2002) في والقاسم المشترك في كل الرحلات هو الانتقال إلى مكان آخر ،وتدوين المشاهدات والانطباعات ووصف الأماكن.

السرد في اللغة:

(تَقْدِمَةُ شَيْءٍ إِلى شَيْءٍ تأْتي بِهِ متَّسقاً بعضُه فِي أَثر بَعْضٍ مُتَتَابِعًا. سَرَدَ الْحَدِيثَ وَنَحْوَهُ يَسْرُدُه سَرْداً إِذا تَابَعَهُ. وَفُلَانٌ يَسْرُد الْحَدِيثَ سَرْدًا إِذا كَانَ جَيِّد السِّيَاقِ لَهُ. وَفِي صِفَةِ كَلَامِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمْ يَكُنْ يَسْرُد الْحَدِيثَ سَرْدًا)، أَي يُتَابِعُهُ وَيَسْتَعْجِلُ فِيهِ)(ا ابن منظور،محمد بن مكرم، ط3، 2016هـــــــ:166)

السرد في الاصطلاح :هو فن تعبير الألفاظ لبيان الصورة المتخيلة ونقلها إلى الصورة اللغوية عن طريق نقل الجزئيات مع الأحداث" (خناري،علي كنجيان،2011 ،92–93) وهو عملية تقوم بشكل أساس على إنتاج نص ومحتوى من قبل الراوي موجهة إلى القارئ ومن خلاله يتم تحويل الكلام المحكي أو المنطوق أو المكتوب إلى عمل فني (خناري،علي كنجيان،92،2011–93) " وهو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق (السارد أو الراوي) وماتخضع له من مؤثرات تحت تأثير عدد من العوامل المتعلقة بالسارد أو المسرود له أو النص، وهو مصطلح نقدي الغرض منه نقل الحدث والموضوع من صورته الواقعية إلى صورة لغوية مكتوبة أو منطوقة"لأنه تضمن مكونات السرد واشكالها من الروي والمروي له وأنواع الخطاب وشخصيات القصة وزمانها ومكانها "(حميد الحميداني، ط3،2003م ، ص45)يقول لورنت جيني: إن كل نص شعري هو حكاية، أي رسالة تحكي صيرورة الذات، لذا تعد علاقة الحكي بالشعر علاقة قديمة نسبياً، فالشاعر القديم فيما يتوسل من التقنيات لعرض تجربته، والإنسان يتحدث عن أخباره وانجازاته اليومية، ويراعي فيها الترتيب الزمني للأحداث ويصف الشخصيات الموجودة في الرحلة"(هلال،عبد الناصر،ط1، 2006،26)

والسرد هو فن تعبير الألفاظ عن الوقائع ليبين لنا الصورة المتخيلة إلى الصورة اللغوية من خلال نقل الجزئيات مع الأحداث ،ويعتبر السرد من الأدوات الفنية للوصول إلى غاية القصة وأهدافها"(الرويلي والبازغي،2000،173)

ولغة السرد عند القلصادي وسيلة بحث وتحليل واكتشاف وهي أداة بحث تاريخي او اجتماعي او نفسي تشتبك مع الشخصيات الحقيقية ،فاللغة لم تعد وسيلة ايحاء وترميز ،والمادة المباشرة

للسرد الأدبي هي موضوعات الرحلة سواء كانت دينية أو علمية أو استكشافية . (بني عامر ،لانا ،11)

التعريف بالقلصادي : هو العالم على بن محمد بن محمد بن على العريشي البسطي ابو الحسن الشهير بـــ(القلصادي) ، ويُعَد من أشهر علماء الرياضيات في المغرب الإسلامي ، وأحد المؤلفين الكبار في بلاد المغرب والأندلس، وكان القلصادي الشيخ الفاضل المؤلف الرحال خاتمة علماء الأندلس)(ينظر: علاش، مريم ،الجزائر،: 131) واشتهر بتأليفه عدد من الكتب التي تناولت علوم مختلفة وكان حريصاً على العلم والاستفادة من علماء عصره بالأندلس، و بارعاً في العلوم والفقه والحساب، وكان مجتهداً مواظباً على القراءة والتدريس، وعلى الرغم من الاضطراب والظروف الصعبة التي كانت تمر بها بلاد الاندلس من الاضطراب السياسي والاجتماعي، إلا أن القلصادي لم يتخلَ عن طلب العلم بغرناطة، ففي سنة (840) هـــ ابتدأ القلصادي رحلته العلمية التي تتيح له اكتساب الثقافة العلمية في عصره من المغرب والمشرق وبما يغذي طموحاته، كما حضر في تلمسان بعض المجالس العلمية واستفاد منها، ولم يقتصر القلصادي في هذا الوقت على التلقي عن شيوخه، بل كان يعرض بعض جهوده في ميدان التأليف، وكان يعقد حلقات الدروس ويتولى الاقراء، فيلقي الدروس على طلبة العلم ، كما حرص القلصادي على الاستفادة من علماء تونس، وكان يشغل في نفس الوقت بالتدريس، واتجه بعد ذلك إلى القاهرة، أمَّا في البقاع المقدسة فقد اشتغل بتأليف كتاب الفرائض، وهو شرح لكتاب (ابن الحاجب)، كما اشتغل في رواية الأحاديث النبوية عن الشيخ المحدث ابن الفتح الحسيني (أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي ،24-26،1978)ويعد القلصادي أكثر علماء الأندلس في عهدها الأخير انتاجاً، وقد اشتهر بتأليف الكثير من الكتب وفي مختلف العلوم . وتوفي القلصادي في منتصف ذي الحجة من سنه (891 هـــ)في مدينة باجة الأفريقية في تونس.

في الواقع إن القلصادي عندما دون رحلته لم يجعلها مقتصرة على وصف المعالم أو البلدان أو الأحداث كما فعل غيره من المدونين لرحلاتهم،بل وصف حتى الأشخاص ، وكذلك نلاحظ من خلال اطلاعنا على كتب هذه الرحلة لم يقتصر القلصادي على ذكر مشايخه واجازاته والكتب التي درسها ومؤسسات العلم التي ارتادها، كما فعل أصحاب الرحلات الفهرسية، إنَّما جمع بين هذا وذاك وذكر المراكز التي مرَّ بها من بسطة إلى البلد الحرام ، وقد عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم متمثلاً في رحله السيرافي بحراً إلى المحيط الهندي في القرن الثالث هجري، ثم توالت بعده العديد من الرحلات(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي،81-82 ،1978)، وقد غلب العامل الديني الأول، حيث كان النصيب الأكبر من هذه الرحلات ربما كان يرجع ذلك إلى طبيعة الرحالة الذين قاموا بها.

ان القيمة الأدبية لكتب الرحلات تتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ،ونرقى بها إلى مستوى الخيال الفني بالرغم مايتسم به ادب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف، فإن أبرز مايميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بمايقدمه من متعة ذهنية كبرى ،لأن مادة أدب الرحلات وإن لم تصل إلى المستوى الفن القائم بذاته كالفنون الأخرى القصة او الشعر او المسرحية او المقالة الأدبية ،إلا أن أساليب هذه الفنون ومضامينها تجتمع في أدب الرحلات (حسين،حسني محمود ،أدب الرحلة عند العرب ص11)

الشخصيات:

هي ركنٌ من أركان العمل السردي وواحدة من عناصره تتجلى من خلال الأحداث والأفعال التي تقوم بها وتنضج أفكارها من خلال شبكة علاقاتها مع غيرها من الشخصيات في إطار زماني ومكاني محددين، ممَّا يحقق الانسجام بين عناصر العمل الروائي. و في تعريف آخر للشخصية انها:"القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي،وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه"(قيسون ،جميلة ،قسطنطينة، الجزائر، العدد6،2006:195) الشخصية اصطلاحاً:هي كل مشارك في الأحداث سلباً أو إيجاباً وكل ما يمكن أن يمثل أشخاص معينين في المجتمع (الحمداني،سالم واحمد ،فائق ،16، 2014)، إنَّ الأشخاص في القصة هم أهم عناصر السرد، وهم مصدر الأعمال لا نستطيع سلب الشخصيات من الرحلة أو الرواية، لأنها عنصراً أساسياً فيها ولا وجود للأحداث، ولا وجود للحوار، ولا قيمة لوجود الزمان والمكان بدون شخصيات (الحمداني،سالم واحمد ،فائق ،30، 2014) ويكون اختيار الشخصيات بما يناسب مجريات الحدث ومن هنا تختلف الشخصيات ،لذلك قُسِّمَت إلى نوعين الشخصيات الثابتة والشخصية النامية (أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي،69-70، 1978) إنَّ القلصادي وصف شيوخه بصفات وألقاب منهن (السيد – القاضي– الوالي – العالم – الوجيه – المفتي – سيدي)، وهذه الصفات مشتركة بينهم وهذا يدل على منزلتهم العظمية التي كانوا يتمتعون بها ،،كما وصف القلصادي أحد شيوخه ببسطة هو الشيخ "علي بن عزيز" وصفه من أهل الورع وأهل الدين وكان يقرأ القرآن من صغره حتى وفاته، وكان هذا الشيخ معتزل عن الناس وقليل الاختلاط كان عندما يسمع اخبار الناس يتعجب، لأنه لم يخالطهم ولم يعرف اخبارهم لذلك وصفه القلصادي بقوله: (نرجو دعوته ولا نقبل شهادته)

(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي: 83) ونلاحظ أيضاً أن القلصادي لم يبالغ في مدح شيوخه، وكذلك يتضح لنا أن القلصادي لم يستعجل المدح بكثرة، ولا وصف أخلاقهم، إنَّما كان الذكر لجهودهم فقط ليلفت الانتباه ،،أن القلصادي يختار المشايخ بدقة، حيث يأخذ من الشيخ الذي يبرز بعلم معين وكان ينوع في اختيار شيوخه مثلاً في تونس كان يبحث عن مشيخته في

الفقه والنحو والمعارف العامة وفي الطب وعلم المكان(باقاي البارود. 475) لقد بلغ عدد الشيوخ اللذين أخذ منهم القلصادي علوم مختلفة ثلاثة وثلاثين شيخاً عشرة منهم في تلمسان وستة في سبطة، وأربعة في تونس واثنان في مصر وشيخ في مكة وعند عودته رجع إلى مصر وقد اختار العلوم من ستة شيوخ أشار ،وقد أشار القلصادي في رحلته إلى عدد من الشيوخ الذين انتدبوا للخطبة وإلقاء الدروس في المساجد والمدارس، مثل محمد مرزوق الذي قال عنه القلصادي: ((من الصلاة وقراءة القرآن والتدريس وعلم التصنيف)(عبد الحميد،جميل، 57،2020) ،

لقد وظف القلصادي أسلوب التشويق إلى قراءة الرحلة بكاملها ممثلا في قوله:معرفاً بأشياخي،حيث ان كل من أخذ منهم من العلماء يتوزعون عبر محطات الرحلة المضمنة في حرفي الجر (من– الى)إذ حددت الأداة الأولى (من) نقطة انطلاق الرحلة فكانت بسطة،وحددت الأداة (الى)نقطة الوصول فكانت الى بسطة ثم الاستقرار بغرناطة ، فالرحالة رسم رحلته في خطة دائرية كانت فيها نقطة الانطلاق في البداية ،هي نفسها نقطة الوصول في النهاية .

ان شخصية القلصادي شخصية مثقفة ومحب للعلم وكان يحرص ان يستفيد من شيوخه ويفيد الطلاب لديه،، والشخصيات في هذه الرحلة لها دور أساسي في ثقافة القلصادي وهناك شخصيات اخذ منهم وهناك من أعطى لهم معارف، ولذلك يمكن أن نُسمِّي هذه الرحلة رحلة أخذ وعطاء في الوقت نفسه.

الزمان:

الزمن عمود الحياة وقرينه لازمه لكل حدث واقع، إذ إن كل واقع يكون مرتبطاً بالزمن الذي وقع فيه الحدث فلا يمكن أن ينفصل الحدث عن الزمن سواء كان الحدث واقع في الماضي أو الحاضر أو المستقبل والرحلة توجب على الرحالة اتباع آلية التسلسل الزمني للأحداث(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي 33–37 ،1978)،

ويمثل الانسان الزمن الطبيعي والزمن النفسي ،لان للانسان زمن خاص به متصل بوعيه ووجدانه، فهو نتاج تجارب الأفراد يتوقف على حركته وخبراته الذاتية ،وهذا ما لا حظناه في رحلة القلصادي أنه ذكر زمن كل حدث وزمن دخوله لكل مدينة وخروجه منها وكان الزمن مرتبط بالحدث ، مثلاً حدث لقائه بشيوخه حيث دوّن هذا اللقاء حسب التسلسل الزمني وكان حريص على تدوين أزمنة الأحداث، سواء صادفته بالذهاب أو الإياب، فالزمن عنصر مهم في الرحلة ويترتب عليه بعض الأحداث التي لا يمكن تأخيرها، فمثلاً رحلة القلصادي إلى الأماكن المقدسة والحج له زمن معين لا يتأخر عنه الرحالة .

قسمت رحلة القلصادي على مراحل زمنية معينة هي (أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي،1978،141)،

الأولى:- زمن الذهاب وعدد القلصادي زمن الذهاب ويبدأ من توديعه لأهله وصولا إلى البيت الحرام

الثانية: زمن الاداء ← ويبدأ في وصول القلصادي الى البيت الحرام الموافق الثلث الأول في ليلة الجمعة إلى صبيحتها التاسع والعشرون من رمضان

ثالثاً: زمن العودة = هي انتهاء القلصادي من أداء فريضة الحج.

ثم يذكر القلصادي أزمنة خلال زيارته من مكة إلى المدينة المنورة،

"ثم ذهبنا بقية ذاك اليوم وبعض من الليل إلى ان بلغنا بطن مرفينا به، وبقية تلك الليلة وأصبحنا يوم الاثنين مسافرين ويوم الرابع من فراق مكة بلغنا الى رابع يوم وهو موضع الاحرام، ثم ارتحلنا من المدينة المشرفة بقية هذا اليوم وبلغنا إلى الينبوع يوم الاثنين وقمنا هناك بقية اليوم وليلة يوم الثلاثاء آخر يوم 6من شهر ذي الحجة "(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 1978،143)،نلاحظ أن الأزمنة التي دونت في هذه الرحلة التي استغرقت مدة خمسة عشر سنة التي التمسنا فيها التسلسل الزمني.

وفي موضع آخر ذكر زمن خروجه من طرابلس إلى تونس في" التسع من جمادي الأخرى عام 852 هـ – 30 جويلية"

" إن الزمن يكتسي معاني مختلفة بل متشبعة ومتباينة كذلك ،ولو أراد أن يقف بمعانيه المتباينة لصعب عليه الأمر حتى نذر حياته للوقوف على هذه المسألة ، فالزمن يأخذ أبعادا شتى في الفلسفات المختلفة كما أن الزمن معاني اجتماعية ونفسية وعملية ودينية وغيرها(النعيمي ،احمد حمد ،16،،ط2004،1)

ان الزمن في رحلة القلصادي مترابط ومتسلسل ، إذ نجد القلصادي بدأ مرحلة جديدة حيث ارتحل من مسقط راسه باتجاه العديد من المدن وكل مدة يقضي فيها فترة من الزمن مع شيوخه وطلابه ثم ينتقل إلى مدينة أخرى،،ويظل الزمن الماضي يلاحق القلصادي كل ما رأى الأصدقاء يذكره بحياته وزمانه في وسط أهله والأحباب وأبناء مدينته بسطة، ولاننفي الزمن الحاضر الذي يعيش فيه بكل سرور في أداء مناسك العمرة والحج والارتحال في سبيل النهوض بالعلم والثقافة .

والرحلة توجب على الرحالة إتباع آلية التسلسل الزمني للأحداث وهذا ما لاحظناه في دراستنا لنص رحلة القلصادي ، إذ ذكر أزمان رحلته المختلفة أثناء مرحلتي الذهاب والإياب على التسلسل بالترتيب ،فلكل رحلة بداية ولكل بداية نهاية زمنية محددة ،فعلى الراحل أن يكون حريصاً على المدة التي يقضيها في رحلته والتي يقوم بها من أجل تحقيق هدف معين .

المكان

يعتبر المكان ركناً أساسيا لدى الرحالة في عمله السردي الذي يلجأ فيه الى اعتماد آليات لتجسيد الرحلة في ذهن القارئ من خلال وصف القلصادي الأماكن التي يمر بها ،فقد جسد لنا صورة واضحة جعلنا نتخيل تلك الأماكن ونرسم لها صورة في مخيلتنا وفي كل مدينة او مكان مرَّ به في هذه الرحلة الا وقد اعطى فكره لكل حدث يسرده(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي،34 ، 1978)،(كما يعد المكان ترجمة دقيقة لما شاهده الرحالة عن ذلك المكان ،إذ لاينفصل المكان عن الوصف لأن الوصف هو الذي يقدم صورة حقيقة للمكان وكما نعرف أن الوصف "ذكر الشئ بما فيه من الأحوال والهيئات "(جعفر،قدامة،1302،41هـــ)وبهذا كانت الأماكن من أكثر الأمور التي شدت انتباه القلصادي فلا توجد مدينة زارها وحل وأعجب بها إلا وقام بالحديث عنها ووصفها ،،فنجد من محطات الرحلات وصف للمدن والأماكن التي زارها فيصبح المكان " لا كشهادة وثائقية بل كأنشودة إنسانية تمجد عظمة الانسان وعظمة مغامراته الحضارية والإنسانية(طالب،احمد،21، 2005)

فقد وصف القلصادي مدينته التي رحل منها بسطة "ارتحلت عن مسقط رأسي وحل أنسي ،ومع أبناء جنسي بسطة سقى الله أرجاءها المشرقة وأغصانها المورقة شآبيب الإحسان ومهدها بالهدنة والأمان.."(أبو الاجفان، محمد، رحلة القلصادي،32، 1978م)،وهنا تظهر مشاعر واحاسيس السارد اتجاه وطنه وحزنه عليه ، فنجد القلصادي يبتدأ أوصافه بالمكان الذي انطلقت منه رحلته وهو مسقط رأسه (بسطة) ونص على ذلك بقوله " دار تخجل منها الدور، وتتقاصر من صحة أجسام أهلها وما طبعوا عليه من كرم الشمائل(أبو الاجفان، محمد، رحلة القلصادي، 92 ،1978م)

ثم وصفه لمدينة تلمسان التي تعد أول وجهة له ، أذ نسب اليها صفاتها أثناء حديثه عنها ونص على ذلك بقوله أنها "(ذات المحاسن الفائقة ، والأنهار الرائقة، والأشجار الباسقة، والأثمار المحدثة، والناس الفضلاء بكرم الطباع والأنفاس (أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 95 ،1978م) ، فوصفه للمكان هو الذي يشكل ويجسد صورة ذلك المكان حتى يتسنى للباحث تخييله وتقريبه من ذهنه فهو بمثابة ترجمة لما شاهده الرحالة عن ذلك المكان ، كذلك وصف القلصادي لمدينة جربة وما فيها من خيرات " وهي كثيرة الخصب وعمروها بالنخيل والزيتون والتفاح له رائحة، ومما خصت به لين الصوف ورطوبته"(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 123 ،1978م)، كما نذكر وصف آخر قام فيه بوصف للمشاهد لمدينة الإسكندرية الخارجية فيقول " والمدينة أحسن البلاد ترتيبا وبناء، وجدرانها بالحجر الأبيض المنجو، وسككها كلها على نسق، نافذة متسعة، وبناؤها تحت الأرض محكم، والماء يخترق باطنها.."(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 1978،125م)

أما زيارته للأماكن المقدسة ووصفه لها فنجد القلصادي له عاطفة دينية جياشة تتجلى في تأثره ومشاعره والعميقة عند زيارة بيت الله مكة المكرمة واللقاء بالعلماء ،،كما تبرز كذلك في نقله للأدعية،

"وفي يوم 26 رجب سار القلصادي نحو البقاع المقدسة لما وصل اعتمر وفي زيارته نحو البقاع المقدسة رأى مالم يتوقعه كان فرحاً واندهش من جمال ومهيبة وتعظيم المكان فصلّى ركعتين ثم سعى سبعاً وتمت العمرة بالحلاق " (أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 125،1978)

كما كان لتونس نصيب من وصف القلصادي واعجابه بها فقد شعر بارتياح عند اقامته فيها، وكذلك وصف اعجابه الشديد بعلمائها الافذاذ الذين لا زمهم سنتين ونصف، حيث قال وهو يصف تونس: "سوق العلم حنيذ نامقه وينابيع العلوم على خلافها مقدمه فلا عليك أن ندى مدرسة أو مسجد إلا والعلم فيه يبث وينتشر"(سالم الحمداني ،فائق مصطفى، 9-2014، 10 م)

وفي وصف الإسكندرية فهي مكان مفتوح حيث أن القلصادي ارتاح فيه ويقول:"ثم زرت هناك ماهو عندهم من المواضع المعظمة كمسجد الحسين مقام الإمام الشافي وشهرته تغني عن تعريفه ،وهو من أشرف المواضع والبقاع "(أبو الاجفان،محمد،رحلة القلصادي، 124،1978)

ان المكان له علاقة ثابتة وصلبة بينه وبين الشخصية فمن خلال رحلة القلصادي نرى انه اختار مكانا مفتوحا، وهو من المدن باعتبار ان المدن المكان الوحيد الذي كان في رحلته يتوقف لتلقي العلم من شيوخ تلك المدن وهي في الوقت نفسه ترمز إلى المهمة النبيلة التي خرج من أجلها

وقد وصف لنا القلصادي خلال الرحلة وقد يكون هذا الوصف جماليا واعجاب مثل ما تعجب من القاهرة وكثرة ازدحاماتها ووصف التركيب الديمغرافي للمدينة، وكذلك وصف لنا في مكة والاحجار الثلاثة ومواقع تلك الأحجار وصف طولها والمادة المبنية منها وهذا وصف عمراني دقيق، وكانت صورة واضحة وقريبة لدى القارئ،

وكذلك نلاحظ أن القلصادي وصف كل مدينة أو مكان مرَّ به خلال الرحلة وصف الاماكن ايجابياتها وسلبياتها أو المناظر التي توجد بها، وقد يكون هذا الوصف جمالياً أو تفسيراً أو توضيحاً، فقد كوَّن صورة واضحة ودقيقة في أذهان القراء (هلال ،عبد الناصر،ط1 ، القاهرة ،2006، 4) ووصف لنا ما سمعه عن روح العلم في تلمسان، ووصف كيف كان العلم في تونس وكيف استخدموا المساجد والمدارس في التعليم ونشر العلم وكذلك أعجب ونقل لنا صورة عن الاعمار والبناء في تونس، وقال "من احسن البلاد ترتيباً وبناء"، وكذلك ما نقله لنا

عن جمال المدينة ومناخها وطبيعتها كما وصف لنا الأماكن المقدسة وما فيها من معالم وصف عمراني دقيق(ينظر: علاش، مريم ، الجزائر،2022،136م)لذا نستنتج ان الوصف يرتبط بكل المكونات الفنية التي تشكل الخطاب السردي مما يسهم في دور كبير وفعال في تهيئة المناخ المناسب كي تطلع العناصر الفنية بوظيفتها والعلاقة بين الوصف والسرد علاقة ترابط، فالوصف يوجد حيث يوجد السرد، والسرد بوجد حيث وجد الوصف فليس لأحدهم حياة دون الأخر، يؤدي وظيفة هامة ضمن جماليات في الخطاب وأسلوب الكاتب أو لغة، لأنه يشرح لنا صورة مكان معين أو حال في الأحوال، حيث ينقلها إلى أذهان القارئ فتكون صورة متكاملة من خلال الـــصور التي عرضها على الاذهان، إذ أن مسار السرد يتحدد من خلال الوصف ويكون الوصف الأماكن التي زارها والأحداث التي عاشها والمشاهد التي عاناها والشخصيات الذين التقى بهم، ومن خلال بعض النماذج عن وصف المكان الوارد في متن الرحلة ،فالمؤلف كان لا يترك شيئا شاهده إلا ووصفه وعلق عليه والأمثلة الواردة في نص الرحلة خير دليل على ذلك، فالرحلة بالنسبة للقلصادي كانت كسجل تاريخي لمختلف الأماكن ومظاهر الحياة التي عاشها فيها .

وبهذا نقول إن المكان داخل الرحلة مرتبط بالواقع وأن الصفات التي ذكرها ونسبها للمدن تجعل من رحلته تمثل مظهر الحقيقة لكل الأحداث التي يسردها في رحلة القلصادي تعج بالأماكن وقد استطاع السارد توظيفها جماليا ضمن موضوع الرحلة، فقد وفق الكاتب في إبراز جمالية المكان رغم أنه ما إن يستقر في جماليات المكان الذي وقف عنده تعود إلى أول محطة استوقفتك من خلالها.

الخاتمة:

– تختلف الرحلة حسب أغراضها قد يكون تعليمي أو سياسي أو اقتصادي أو ديني.

– إنها رحلة علمية حجازية دينية، وكانت سجل ثقافي لكن السبب الأقوى هو زيارة بيت الله الحرام والأماكن المقدسة، والسبب الثاني هو طلب العلم والمعرفة واكتساب الثقافات.

–القلصادي عالم ومرجع لكثير من العلماء والطلبة.

– ان الزمان والمكان عنصران في الرحلة وعلاقته مع العمل كبيرة فلا وجود للرحلة اذا لم ترتبط بزمان معين ومكان محدد .

– الزمن الذي دارت فيه أحداث الرحلة فيه بعض التداخل بين الأزمنة وصوره الكاتب بطريقة فنية.

– ان الزمن في رحلة القلصادي مترابط ومتسلسل ، إذ نجد القلصادي بدأ مرحلة جديدة حيث ارتحل من مسقط راسه باتجاه العديد من المدن وكل مدة يقضي فيها فترة من الزمن مع شيوخه وطلابه ثم ينتقل إلى مدينة أخرى .

– أشار الكاتب إلى سبب رحلة القلصادي من مسقط رأسه نحو العديد من المدن والسبب متمثل في أداء مناسك العمرة وفريضة الحج وطلب العلم .

– تسليط الضوء على المكان يعتبر عنصرا فعالا فنيا وله خصوصية متفردة وأصبحت الأمكنة تلعب دورا مهما في الرحلة حيث أن الكاتب نقل كل المعاناة من أرض الواقع والحزن التي مر بها القلصادي بسبب ارتحاله عن وطنه.

– إنَّ الشخصيات في هذه الرحلة لها دور أساسي في ثقافة القلصادي وهناك شخصيات اخذ منهم وهناك من أعطى لهم معارف، ولذلك يمكن أن نُسمِّي هذه الرحلة رحلة أخذ وعطاء في الوقت نفسه.

– لغة الرحلة كانت موجزة تخلو من المجاز والمبالغة.

– إنها آخر رحلة اندلسية قام بها عالم مسلم من علماء القرن التاسع الهجري والخامس عشر ميلادي.

الهوامش:

1- الياقوت، عبد الله بن عثمان. (2001). أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة. (أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى). ص 706.

2- الشوابكة، نوال عبد الرحمن. (2006). أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري. (تحقيق صلاح جرار). الأردن. ص 53.

3- صوكو، نسرين، وشنتور، رمسية. (2021). المكان الحكائي في المتن الرحلي (رحلة القلصادي نموذجًا). الجزائر، ص 11-12.

4- ابن منظور،محمد بن مكرم،لسان العرب ، دار المعارف ، 2016 م، 1414 ،ط3

5- . الحمادي، عبدالله. (د.ت). أصوات من الأدب الجزائري الحديث. دار البعث، قسنطينة. ص 10

6- زيتوني، لطيف. (1996). السيمولوجيا وأدب الرحلات. عالم الفكر، 24(3)، ص 257.

7- . قنديل، فؤاد. أدب الرحلة في التراث العربي. الجار العربية للكتاب، القاهرة. (ط. 2). ص 15-16.

8- خناري،علي كنجيان،السرد واللغة في رواية التلصص"، صنع الله إبراهيم،2011

9- الحميداني،حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،ط3،2003م ، ص45

10- هلال، عبد الناصر. (2006). آليات السرد في الشعر العربي المعاصر (ط. 1). القاهرة. ص 26.

11- الرويلي ،ميجان والبازغي،سعد،2000م دليل الناقد العربي،ط2، الثقافي العربي .

12- بني عامر ،عاصم محمد أمين،التجريب في روايات صنع الله إبراهيم،الجامعة الأردنية،مركز اللغات

13- علاش، مريم. (د.ت). رحلة القلصادي الحجازية وقيمها التاريخية. الجزائر. . كلية العلوم الإسلامية ص 131

14- حسني، محمود حسين. (1983). أدب الرحلة عند العرب. دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان. ص 10-11.

15- قيسون، جميلة. (2006). الشخصية في القصة. مجلس العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسطنطينة، العدد 6، ص 195.

16- الحمادي، عبدالله. (د.ت). أصوات من الأدب الجزائري الحديث. دار البعث، قسنطينة. ص 108.

17- هلال، عبد الناصر. (2006). آليات السرد في الشعر العربي المعاصر (ط. 1). القاهرة. ص 26.
18- النعيمي، أحمد حمد. (2004). إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. لبنان. ص 16.
19- عبد المجيد، إبراهيم. (د.ت). الشخصيات العلمية المصرية في رحلة القلصادي (675-746 هـ) (1276-1345 م). جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية، باقاي البارود، ص 475.
20- عبد الحميد، جميل، وعماد الدين شلالقة. (2019-2020). الحياة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال رحلة القلصادي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ. ص 57.
21- سالم، الحمداني، وفائق مصطفى. (2014). الأدب العربي الحديث: دراسة في شعره ونثره (ط. 1). ص 16.
22- الطالب، أحمد. (2005). جمالية المكان في القصة الجزائرية. دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر. د. ط. ص 21.
23- جعفر. (1302 هـ). قدامة نقد الشعر. مطبعة الجوانب، قسطنطينية. (ط. 1). ص 41.
24- الحمداني، سالم، وفائق مصطفى. (2014). الأدب العربي الحديث: دراسة في شعره ونثره (ط. 1). 10.
25- هلال، عبد الناصر. (2006). آليات السرد في الشعر العربي المعاصر (ط. 1). القاهرة. ص 4.

Reference

1. Al-Yaqout, Abdullah bin Othman. (2001). The Literature of the Hijazi Journey among the Andalusians from the 6th Century until the Fall of Granada. (Doctoral dissertation, Umm Al-Qura University). p. 706.
2. Al-Shawabkeh, Nawal Abdul Rahman. (2006). The Literature of Andalusian and Moroccan Journeys until the End of the 9th Hijri Century (edited by Salah Jarrar). Jordan. p. 53.
3. Souko, Nasreen, & Chentour, Ramsia. (2021). The Narrative Place in the Travel Text (The Journey of Al-Qaldisi as a Model). Algeria. pp. 11-12.

4–Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, Lisan al–Arab, Dar al–Ma'arif, 2016, 1414 AH, 3rd edition.

5. Hamadi, Abdullah. (n.d.). Voices from Modern Algerian Literature. Dar Al–Ba'ath, Qusantina. p. 10.

6. Zaitouni, Latif. (1996). Semiology and Travel Literature. World of Thought, 24(3), p. 257.

7. Qandil, Foad. Travel Literature in Arabic Heritage. Al–Jar Arab for Publishing, Cairo. (2nd ed.). pp. 15–16.

8– Hilal, Abdul Nasir. (2006). Narrative Techniques in Contemporary Arabic Poetry (1st ed.). Cairo. p. 26.

9– Khanari, Ali Kanjian, "Narrative and Language in the Novel of Peeping," Sonallah Ibrahim, 2011.

10– Al–Humaidani, Hamid, The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center, Casablanca, 3rd edition, 2003, p. 45.

11 Al–Alaash, Mariam. (n.d.). The Historical Values of Al–Qaldisi's Pilgrimage. Algeria, Faculty of Islamic Sciences. p. 131.

12. Hassani, Mahmoud Hussein. (1983). Travel Literature among Arabs. Dar Al–Andalus for Printing and Publishing, Lebanon. pp. 10–11.

13. Qaison, Jamila. (2006). Character in the Story. Human Sciences Council, Department of Arabic Literature, University of Mentouri, Qusantina, No. 6, p. 195.

14–. Hamadi, Abdullah. (n.d.). Voices from Modern Algerian Literature. Dar Al–Ba'ath, Qusantina. p. 108.

15–. Hilal, Abdul Nasir. (2006). Narrative Techniques in Contemporary Arabic Poetry (1st ed.). Cairo. p. 26.

16– Al–Ruwaili, Mejan, and Al–Bazghi, Saad, Guide for the Arab Critic, 2nd edition, Arab Cultural Center, 2000.

17– Bani Amer, Assem Mohamed Amin, "Experimentation in the Novels of Sonallah Ibrahim," Jordan University, Language Center.

18. Al-Naimi, Ahmad Hamad. (2004). The Rhythm of Time in Contemporary Arabic Novel. Arab Foundation for Studies and Publishing, Lebanon. p. 16.

19. Abdul Majid, Ibrahim. (n.d.). Egyptian Scientific Characters in the Journey of Al-Qaldisi (675-746 AH) (1276-1345 AD). Al-Azhar University, Journal of the College of Arabic Language, Baqai Al-Baroud, p. 475.

20. Abdul Hamid, Jamil, & Imad Al-Din Shalalqa. (2019-2020). Scientific Life in the Islamic Maghreb through the Journey of Al-Qaldisi. Master's thesis in History. p. 57.

21. Hamdani, Salem, & Faiq Mustafa. (2014). Modern Arabic Literature: A Study of its Poetry and Prose (1st ed.). p. 16.

22. Talib, Ahmad. (2005). The Aesthetics of Place in Algerian Storytelling. Dar Al-Gharb for Publishing and Distribution, Algeria. 1st ed. p. 21.

23. Jaafar. (1302 AH). Qudama's Critique of Poetry. Al-Jawanib Press, Constantinople. (1st ed.). p. 41.

24. Hamdani, Salem, & Faiq Mustafa. (2014). Modern Arabic Literature: A Study of its Poetry and Prose (1st ed.). p. 10.

25-. Hilal, Abdul Nasir. (2006). Narrative Techniques in Contemporary Arabic Poetry (1st ed.). Cairo. p. 4.